مناهج وآليات النقد الاستشراقي*

Methods and mechanisms of Orientalist criticism

أ.د/ الربيع بوجلال
جامعة محمد بوضياف-المسيلة- (الجزائر)
elrabia.boudjellal@univ-msila.dz

ملخص:
الاستشراق ظاهرة ثقافية وفكرية، استخدمت كوسيلة لفهم المجتمعات الشرقية وتقديمها للعالم الغربي، ويعد نقد الاستشراق مجالًا متعدد الأبعاد يتناول الجوانب المختلفة للدراسات الغربية عن الشرق، ويعكس وعيا متزايدا بتأثيره على العلاقات الثقافية والسياسية بين الشرق والغرب. وهذه المداخلة تجيب على: ماهي المناهج والآليات التي تم بها النقد الاستشراقي؟ من خلال تحليل وتفكيك التصورات والتمثيلات التي قدّمها الغرب عن الشرق. وتهدف إلى التوصل أن ممارسة نقد الاستشراق بشكل منهجي وعلمي، يمكِّننا من تفهم أعمق وأدق للحضارات الشرقية وتقديرها بشكل صحيح.
الكلمات المفاتيح: الاستشراق، الآليات، المؤامرة، النقد، الموضوعية، الذاتية.

Abstract : Undoubtedly, one of the objectives of this study is to acknowledge the difficulty of addressing the complex and intricate issue of Orientalism, which requires the researcher to have a broad cultural background, an understanding of the civilizational context, a historical perspective, and the ability to read the "Other" without bias, prejudice, or preconceived notions. This work aims to explore how and by what mechanisms Orientalism has been criticized, concluding that Orientalism is neither entirely evil nor entirely good, but rather exists between scientific inquiry and human tendencies. Through a systematic and scientific evaluation of Orientalism, we can achieve a deeper and more accurate understanding of Eastern civilizations and appreciate them correctly.
Keywords: Orientalism, mechanisms, conspiracy, evaluation, objectivity, subjectivity

*

تاريخ استلام البحث: 2024/06/18	تاريخ قبول البحث: 2024/09/25	تاريخ النشر: 2024 /10/15

مقدمة:

الاستشراق هو مصطلح من بين ما يعنيه ولادة جديدة للآخر (الحضارات الشرقية، سائر الشعوب غير الأوروبية، الإسلام، العرب...) بتحليل صورته، من قبل العلماء والباحثين الغربيين. وهو ما يعني أننا أمام معرفة غربية "تستمد أهميتها مما يسبغه التفسير عليها"[1].

وقد بدأ هذا المفهوم في القرن التاسع عشر، حيث كانت الدول الأوروبية تسعى إلى فهم الحضارات الشرقية وثقافاتها بشكل أفضل. ومن خلال دراسة اللغات والتاريخ والأديان والثقافات الشرقية، حاول الاستشراقيون فهم هذه الحضارات وتفسيرها من وجهة نظرهم الخاصة. ومع ذلك، بدأت تظهر مشكلات في هذه النهج، حيث بدأت الدراسات الاستشراقية تصبح موضوعاً للنقد والانتقاد وقد أدى هذا النقد إلى ظهور مفهوم "نقد الاستشراق"، الذي يهدف إلى تحليل ونقد الطريقة التي يتعامل بها الاستشراقيون مع الحضارات الشرقية.

المفاهيم الأساسية في الاستشراق: تشمل المفاهيم الأساسية في الاستشراق مجموعة واسعة من المواضيع والمجالات التي تهدف إلى فهم وتحليل الحضارات الشرقية. وقد ساهمت هذه المفاهيم في توسيع آفاق الفهم والتعاون بين الثقافات المختلفة. ومن بين هذه المواضيع والمجالات ما يلي:

أ: الاهتمام باللغة والأدب الشرقي. فقد بذل العديد من الباحثين الغربيين جهوداً كبيرة في دراسة اللغات الشرقية مثل العربية والفارسية والتركية والهندية. وقد أسهمت هذه الدراسات في فهم أعمق للثقافات الشرقية وتطورها عبر العصور.

ب: دراسة الفنون والعمارة الشرقية. فقد قام العديد من الفنانين والمعماريين الغربيين بدراسة الفن الشرقي واستوحوا منه في أعمالهم. وقد أثرت هذه الدراسات على التطور الفني والمعماري في العالم الغربي.

ج:دراسة الديانات والفلسفات الشرقية. فقد قام العديد من العلماء الغربيين بدراسة الديانات الشرقية مثل الهندوسية والبوذية والإسلامية. وقد ساهمت هذه الدراسات في توسيع آفاق الفهم الديني والفلسفي في العالم.

د:دراسة التاريخ والسياسة الشرقية. فقد قام العديد من الباحثين الغربيين بدراسة التاريخ الشرقي والتطورات السياسية في المنطقة. وقد أدت هذه الدراسات إلى فهم أعمق للتاريخ الشرقي وتأثيره على التطور العالمي.

التطورات الحديثة في الاستشراق

مر الاستشراق عبر تاريخه الطويل بعدة أطوار، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: طور التكوين: يبدأ هذا الطور من القرن الثامن الميلادي عندما دخل المسلمون الأندلس يومها كان الغرب في العصور الوسطى تعيش تخلفا لا مثيل له في شتى ميادين الحياة، بينما كان الشرق من أقصاه إلى أدناه مغمور بما تشيعه مدنه من أضواء المدنية والعلم، وكان رجال الدين هم الذين يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا فتعلم العربية ثم اليونانية ثم اللغات الشرقية وبرز الرهبان في نقل الثقافة الإسلامية إلى بلاد أوروبا المختلفة بفضل أساتذتهم المسلمين في إسبانيا.

ثانيا: طور التقدم

تبدأ هذه المرحلة منذ نهاية الحروب الصليبية 1096ــ1291م حتى القرن السادس عشر ميلادي،وتعد نهاية الحملات الصليبية بداية المرحلة الجديدة للفكر الاستشراقي وذلك أن لويس التاسع (لويس القديس) ملك فرنسا هو الذي قاد الحملة الصليبية السابعة عام 1248حتى يأخذ بيت المقدس، لكن هزيمته في المنصورة ووقوعه في الأسر جعله يفكر في تحويل المواجهة العسكرية إلى مواجهة فكرية تستهدف الدس بين المسلمين وإثارة الخلافات، وتجنيد المبشرين الغربيين لمحاربة الإسلام، ووقف انتشاره ،فكانت الحروب الصليبية بداية الغزو الاستشراقي، خلال الاتصال الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني.

ثالثا: مرحلة الانطلاق

تمثل الطباعة العربية في القرن السادس عشر الميلادي خطوة جديدة نحو الانطلاق فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوروبا كلها، وأخذ العلماء والرهبان يتسابقون في اقتناء المخطوطات الإسلامية والعربية 1632والآخر في اكسفورد1636وفي نهاية القرن 18 الميلادي تأثرت حركة الاستشراق تأثرا كبيرا بالحملة الفرنسية على مصر (1798م.1801م) التي قادها (نابليون بونابرت) وما رافقها من مهندسون وأثريون وأدباء ومؤرخون ومترجمين...

توافد في حكم محمد علي خلال القرن التاسع عشر عدد كبير من المستشرقين لبناء دولة عصرية في مصر، كما أوفد محمد علي بعثات إلى أوروبا في مختلف المجالات للغرض نفسه. وفي نهاية القرن التاسع عشر رغب علماء أوروبا مهتمون بأحوال الشرق أن يجتمعوا في مؤتمر شرقي لتبادل الأفكار فكان أول المؤتمرات في مدينة باريس عام 1873 بحضور مستشرق أوروبا وبعدها توالت المؤتمرات الدولية التي تضم مئات من أعلام المستشرقين يعقد مرة كل أربع أو ثلاث سنوات أو سنتين

رابعا: مرحلة الازدهار

بدأ عصر الازدهار الحقيقي للاستشراق مع مطلع القرن العشرين، فقد سيطرت بريطانيا وفرنسا على الشرق حتى الحرب العالمية الثانية وهيمنت الولايات المتحدة الأمريكية على الشرق في منتصف القرن العشرين.[2]

الانتقادات الموجهة للتاريخ الاستشراقي

تأتي الانتقادات الموجهة للدراسات الاستشراقية من وجهات نظر متعددة ومتباينة. منها على سبيل الذكر لا الحصر:

ـ اتهامه بالتحيز والتشويه للتاريخ والحضارة العربية والإسلامية. فقد اعتمد الاستشراقيون في أبحاثهم على مصادر غربية فقط، مما أدى إلى تشويه الصورة الحقيقية لتلك الحضارة. وقد انتقد العديد من الباحثين العرب هذا النوع من الدراسات ودعوا إلى الاعتماد على مصادر أصلية عربية لفهم تاريخهم بشكل صحيح . .والرأي الشائع هو أن هذا التشويه يتم عند بعض المستشرِقين بصورة صريحة تتضمن هجمات مباشرة وتفسيرات باطلة لحقائق أساسية في الإسلام، وعند البعض الآخر بصورة غير مباشِرة، ربما اقترنت أحيانا بشيء من المدح أو الدعوة إلى التفاهم[3]

ـ بتجاهل الجوانب الإيجابية للحضارة العربية والإسلامية، والتركيز فقط على الجوانب السلبية. فعلى سبيل المثال، يتم تسليط الضوء على الحروب والصراعات التي وقعت في تلك الحضارة، دون النظر إلى الإسهامات العلمية والفنية والثقافية التي قدمتها.

ـ الاستنتاجات التي توصل إليها الاستشراقيون في بعض الأحيان قاصرة وغير دقيقة. فقد اعتمدوا في تحليلهم على معايير غربية لا تنطبق بالضرورة على الحضارة العربية والإسلامية. وهذا قد أدى إلى تشويه الحقائق التاريخية وتقديم صورة مغايرة للحقيقة.

ـ واحدة من المشكلات الرئيسية التي تم رصدها في الاستشراق، الانحياز الثقافي والعقائدي الذي يؤثر على تفسيراتهم وتحليلاتهم. فعلى سبيل المثال، كان الاستشراقيون ينظرون إلى الحضارات الشرقية بعيون الاستعمار، مما أدى إلى تشويه صورتها وتقديمها بشكل سلبي.

ـ كما أن الاستشراق كان يعاني من مشكلة العزلة الثقافية، حيث كان العلماء الغربيون يعيشون في بيئة ثقافية مختلفة تمامًا عن الحضارات الشرقية التي كانوا يدرسونها. وهذا الانفصال الثقافي أدى إلى فهم غير دقيق ومشوه للحضارات الشرقية.

ـ بالإضافة إلى ذلك، كان الاستشراق يعاني من مشكلة العنصرية، حيث كان العلماء الغربيون يعتبرون أنفسهم أعلى من الشعوب الشرقية وأنهم أكثر تقدمًا وحضارة. وهذا الافتراض العنصري أثر سلبًا على تحليلاتهم واستنتاجاتهم. وهذا التورط في المركزية الغربية صنع حاجزاً نفسيا؛ جعل أكثر مثقفي وباحثي الشرق ينفرون عن المستشرقين، ويرون فيهم جماعات من المستكبرين العنصرين العدائيين. هذه الحالة والصفات هي من مترتبات تأثير المركزية الغربية في التوجه الاستشراقي.

ـ يتعرض المستشرقون إلى التراث الشرقي بنفي أصالته ويشدد الاستشراق على النموذج الأجنبي بوصفه مصدرا أساسيا وحيدا للفكر الإسلامي، وهذا بالطبع ما يوجه ضربه لأصالة الفكر الديني في الإسلام.

فالاستشراقيون يدرسون لحظة الانطلاقة من خلال تشكيل سابق، لينفي عن التراث الشرقي إبداعه الذاتي بإلغاء حدوده ومكانه الزمني الخاص أو الذاتي، ليضفي عليه حدودا في المكان أو أبعادا في الزمان غريبة عنه، من الخارج أو من داخله، ويتصور أن اللحظة المستوردة تلغي الإبداع الذاتية. وغالبا ما يشير الاستشراق أو يؤكد النموذج الأصلي (الأصل المستورد) ويلغي لحظة إبداعه الأصلي.

مع أن الفكر الشرقي لا يقف اتجاه النموذج الأجنبي الموقف السلبي أو المعادي من الحوار مع الآخر من أجل تحقيق الاستفادة من إيجابياته وتجنب سلبياته ولا يتعامل مع التراث الأجنبي بشكل كلي؛لأن الكل يشتمل على الصحيح وضده بل بشكل جزئي وهو المتسم بالصحة وما يناسب عقيدته وهويته وخصائصه الثقافية.[4]

مناهج وآليات الاستشراق

1ـ نشر الخرافات

يمكن أن يكون بعض الخرافات أو التفسيرات الخاطئة في كتب بعض المستشرقين عن الحضارة الإسلامية والتصوف، وذلك نتيجة للفهم السطحي أو الاعتماد على مصادر غير دقيقة؛ لهذا يجب أن نكون حذرين ونقوم بالتحقق من مصدر المعلومات والبحث عن الحقائق قبل قبول أي معلومة كحقيقة. ومن الضروري أن نعتبر أن المستشرقين ليسوا متخصصين في الدين أو العقيدة الإسلامية، وبالتالي قد يكون لديهم فهم محدود أو مشوش لبعض الجوانب الدينية أو الروحية. ولذلك، يجب علينا أن نقرأ وندرس من مصادر متعددة ونعتمد على الأبحاث العلمية الموثوقة لفهم الحقائق بشكل أفضل. بشكل عام، يجب أن نكون حذرين ونقيم المعلومات التي نجدها في كتب المستشرقين بحرص، ونسعى لفهم السياق والدوافع وراء تلك الكتب قبل اعتبارها مصدراً موثوقاً.

أظهر الاستشراق من البداية خلطا عجيبا متناقضا من دوافع تنصيرية دينية، وسياسية، وفكرية، واهتمام علمي محض، مع إصراره على اتخاذه الموضوعية دليلا في دراسته الإنتاج الفكري عند المسلمين، وكان الدافع الديني السبب الرئيسي في نشأة الجدل ضد الإسلام؛ لأن جل المستشرقين كانوا من القساوسة، الرهبان، والباباوات، والذين سعوا إلى نشر الخرافات، والأباطيل، والافتراءات عن الإسلام ونبيه، من ذلك نجد كتابات يوحنا الدمشقي (675ـــ 749م) الذي يعُد اللاهوتي المسيحي الأول الذي أسس لبداية التفكر المسيحي في الإسلام. واعتبر أن الإسلام هرطقة، وديانة زائفة [5] وهاجم بشدّة الممارسات الأخلاقيّة والتّعاليم المبثوثة في القرآن؛ من أجل إبراز صفاء العقيدة المسيحيّة وإضفاء الشرعيّة عليها.

أـــ التشكيك في الرواية

عمد المستشرقون إلى تنمية احتقار الإسلام وزرع الكراهية له ولشعبه في نفوس الغربيين بالشرح الخاطئ لتعاليم الإسلام، والتعليل الكاذب لتاريخ الفتوحات الإسلامية في مؤتمرات أو كتب أو صحف أو...،فما كتبه المستشرقون عن الواقع في المجتمعات الإسلامية إلا أسوأ ما رأوه، وأضافوا الكثير إلى ما رأوه أو سمعوه من خرافات من شأنها أن تعطي صورة عن الإسلام تشمئز منها النفس فتنصرف عن مجرد التفكير في دراسته أو الاستماع عنه أو الرغبة في التعرف عليه، وتُظهر المسلمين في صورة أضعف ما فيها أنهم كالأغنام يجب اغتنامها فهي أعجز عن أن تقف موقف مقاومة[6] .

وكان المعول والسلاح الذي عول عليه المستشرقون منهج الشك، وإثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا الشك في عدم صحة النص القرآني، وهذا يدفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه، لمعرفتهم أن النص المشكوك فيه، يوجب الشك في النص المبني عليه، ووجدوا في موضوع اختلاف الروايات حاجتهم فهم ينقلونها من غير تحرز من آراء العلماء فيها، بل يؤيدونها ،كما وجدوا في اختلاف المصاحف الخاصة التي كانت بأيدي بعض الصحابة ميدانا يخبون فيه ليخفوا رغبة في صدورهم: هي فتح أبواب الشكوك والارتياب.[7]

ب ــ إثارة الجدل

يثير المستشرقون بعض القضايا ويسخّر لها ما يملك ومن أتباع أولاهم نعمته لنقاشها، كقضية الشعر الجاهلي أمنحول هو أم موثوق بمصادرة؟ وهل انتشر الإسلام بالسيف أم بالبرهان والاقتناع؟ والإسراء أكان بالروح أم بالجسد؟ وهل شق صدر النبي حقيقة؟ وما إلى ذلك من هذا القبيل الذي جهله لا يضر. ومع ذلك عقدت لهذا الندوات في الجامعة اليسوعية في الكويت على لسان الأب (الار)أو الدكتور (أسعد علي) حول المساواة بين القرآن والإنجيل في القيمة العلمية لمحتواهما، ثم المساواة بين الملل، ثم تفضيل الماسونية أو اللادينية على كل الملل، بغية التخلص من كل تعصب ديني[8]

ولم يسلم الفن الإسلامي القراءات المتحيزة والرؤية الاستشراقية التي يصعب الاقتناع بها أو تصديقها فقد بدت آرائهم وكأنها تتحدث عن فن لا يمت بأية صله بالدين والفكر الجمالي الإسلامي، فقد هاجم المستشرقون الفن الإسلامي من ناحيتين:

ركزوا في الأولى على الظروف التاريخية والعوامل الجغرافية التي نشا فيها الفن الإسلامي وفق قراءة تخضع لهواهم تعتمد في مجملها على تقييم الفنون الإسلامية من خلال حقب الفن المتعاقبة ومقارنته

بفنون الشعوب القديمة ليؤكدوا في الأخير أن الفن الإسلامي مجرد اقتباس لأساليب وعناصر الفنون السابقة وبصورة ساذجة.

وركزوا في الثانية على تأويل الآراء الفقهية التي تبعد عن مقاصد الجمال في الفكر العربي الإسلامي، حيث يعتقد الكثير أن ميل الفنان المسلم إلى التجريد سببه النهي عن تصوير ذات الروح مما جعل نشاطهم الفني ينحصر في التعبير عن المعاني الدينية رمزيا عبر وسائل وتقنيات تجنبهم الوقوع في المحظور والأكثر من ذلك فسر بعضهم تلك الرمزية التي احتوتها بعض الفنون الإسلامية بأنها تحايل على ذلك التحريم.[9]

وما تردد في كتابات المستشرقين من نقاش حول الجدل القائم بين التصوير والتحريم معتبرين أن التحريم الفقهي لفن النحت والتصوير هو الذي عطل الممارسة الفنية وانعدام الإحساس الجمالي في الحضارة العربية الإسلامية، حيث تبدو القناعة بمحاربة الإسلام للفنون التشكيلية قناعة راسخة خاصة لحظة ظهور الإسلام ولعل هذا ما عبر عنه أحد المستشرقين عندما قال:" إن التحريم الفقهي قد ألغى نهائيا أية إمكانية جادة لتصوير فن الرسم التشخيصي في العالم الإسلامي حتى القرن 14 الميلادي على الأقل "[10]

ج ــ قواعد العربية

كانت اللغة العربية تاريخيًا، موضوعًا للدراسة والتحليل من قبل المستشرقين، لكنها في نظرهم متهمة بأنها تعبر عن ثقافة دينية وثقافية محددة، وتستخدم للتحكم السياسي والديني، وأنها لغة تسيطر على الفكر والسلوك في المجتمعات الناطقة بها، بالإضافة إلى كونها صعبة الفهم والتعلم بسبب تعقيدها وتنوعها في القواعد والقواعد النحوية. ومن هذه النقطة بدأ المستشرقون عملهم الدؤوب، فرغم ارتباط نشأة النحو بالدراسات القرآنية لأن الغاية كانت الحفاظ على القران الكريم من اللحن والخطاء إلا أن المستشرقين شككوا في أصالته بدعوى التأثر بالفكر اليوناني القياسي والتعليل واستخدام المقولات...، ومما تناوله المستشرقون في هذا الموضوع إنكار دور الإعراب، وما دعا أهل التيسير ممن تأثروا بهم إلى إلغائه، صعوبة النحو العربي بسبب الإعراب، وأنه من الصعوبة مراعاة وتتبع هذه القواعد الإعرابية في الحديث اليومي العادي ،إقامة الدعوات إلى تيسيره وتقريبه من الناشئة وفق قراءات جديدة ومن ذلك نجد إبراهيم أنيس ينكر أن تكون للحركة الإعرابية دلالة ولكنها مجرد وسيلة تساعد المتكلم على وصل الكلام بعضه ببعض، وعليه قسم مستويات اللغة إلى قسمين: [1]

أولهما معرب وهو الذي يهتم به النحاة، وثانيهما غير معرب وهو ما يستعمله العامة من الناس ويؤكد ذلك في قوله: "فالإعراب كما نعرفه لم يكن إلا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب ثم بين

1

النحاة من بعدهم، ولم يكن مظهرا من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب".[11] وكأن إبراهيم أنيس لم ينتبه إلى دور الإعراب وما يؤديه في تغيير وظيفة الكلمة من معنى إلى آخر، والامثلة والشواهد كثيرة لا تعد ولا تحصى، وهي أكبر من أن تذكر في مداخلة مثل هذه..وهذا في رأينا يُعد نجاحا للمستشرقين لأنهم استطاعوا أن يشككوا في أهم أساسيات النحو العربي .[12]

ثم ظهر الدكتور(أنيس فريحة) كتابا سماه" تبسيط قواعد اللغة العربية "بوبها على أساس نطقي جديد، ودعا إلى الكتابة بالعامية، وهذا بلا شك يخلق مشكلة جديدة في التعليم، وهم يريدون بهذا كما يقول المستشرق (برينو) لطلابه في درس اللغة العربية:" لا تظن أني سأعلمك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي(لاتينية العرب) وهي اللغة التي أنزل بها الله بها كتاب المسلمين، وهي لغة الصلوات والاستغاثات والتمنيات أحيانا، وهي كذلك المستعملة في جنة محمد وعليك دراستها في المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين[13].

ويورد فارس الشدياق في "ذنب للكتاب" ذكر بعض أغلاط الروس من مدرسي اللغات العربية في مدارس باريس ردا على ما قاله الكسندر شدزكو "Alexandre Chodzko" في فاتحة كتاب ألّفه في نحو اللغة الفارسية سنة 1852 يقول فيه: "إنهم حين يشتبه عليهم المعنى يعمدون إلى الترقيع والترميق والتلفيق [...]لأنهم لم يأخذوا العلم[...] وإنما تطفلوا عليه تطفلاً وتوثبوا توثباً. ومن تخرّج فيه بشيء فإنما تخرج على القس حنا والراهب توما والخوري متي[...] وتوهم إنه يعرف شيئاً وهو يجهله. وكل منهم إذا درّس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء فما أشتبه عليه منها رقّعه من عنده بما شاء. وما كان بين الشبهة واليقين حدّس فيه وخمّن فرجّح منه المرجوح وفضل المفضول. وذلك لأنه لم يوجد عندهم من تصدّى لتخطئهم"[14]

"ومما يؤخذ على المستشرقين اعتمادهم على أصول اللغة، ومعظمها لا قواعد له، فيشرحون على الطريقة الكلامية دون معرفه القصد الذوقي منها، وتمت تعابير عربية أو دخيلة يشق عليهم فهمها، وخاصة إذا استندوا إلى مَن تقدمهم من مستشرقين وقد كتبوا بالحروف اللاتينية التي كثيرا ما لا تفي بحاجه اللفظ العربية "[15]

ومن أخطائهم الأصولية (في اللغة) جمع (زيت الزيتون) على (زيت الزيتين) و(قطار) على (قطْران).

الموضوعية

اعتمدت الدراسات الاستشراقية على تطبيق منهج علمي صارم على الدراسات الإسلامية، فوصلت إلى نتائج علمية باهرة، إلا أن بعض النماذج لا تؤدي إلى فهم الإسلام ومبادئه وعقيدته كما ينبغي، وكان استعمالها من قبل المستشرقين أدى إلى الوصول إلى نتائج لاتتفق والحقيقة العلمية المجردة،

مثل المنهج النقدي التاريخي ومنهج الشك الديكارتي ولكن إتقان المستشرقين للعديد من اللغات السامية،ساعدهم على فحص النصوص القديمة، والنقوش المطمورة والآثار الدفينة، فسروها وحللوها وترجموها ووصلوا بها إلى نتائج علمية في غاية الدقة والأهمية، واستخدم المستشرقون قانوني المطابقة والمقابلة ومنهج النقد الباطني والخارجي للنصوص في تحقيق المخطوطات العربية، والتثبت من صحتها ونسبتها إلى أصحابها وكانت نتيجة عظيمة في هذا الميدان، أن دراسة مناهج المستشرقين تساعدنا على فهم الطريقة التي سلكوها في دراسة وتحقيق التراث العربي الإسلامي ماضيا وحاضرا، ويقتضي الأمر منا بيان مناهج المستشرقين المطبقة في هذا المضمار والإشارة إلى سلبية نتائج تطبيقاتها.

المنهج التاريخي الذي طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية عبارة عن ترتيب لوقائع تاريخية واجتماعية وتبويبها وعندما تناول المستشرقون الحضارة الإسلامية وطبقوا عليها المنهج التاريخي بنمط العقلية الغربية وإذا تحدثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا: إن دعوته جاءت للانقضاض على الارستقراطية القرشية وعندما يتحدثون عن نضاله وجهاده يفسرون ذلك لأغراض سياسية يرمي إلى تحقيقها بالقوة المسلحة للوصول إلى السلطة. وعندما يتحدثون عن مفكري الإسلام كابن سينا والغزالي وابن رشد فإنهم يصفونهم بأنهم أصحاب مدارس كما في الغرب المدرسة الرشيدية والسنوية والغزالية والأشعرية مع أن هؤلاء مفكرين لا يختصون بعلم أو مذهب معين فهم علماء موسوعيون متصوفون وفلاسفة ومناطق وفقهاء وعلماء ومتكلمون.

حتى وإن صحت نواياهم العلمية فإن نتائجهم وإن كانت توصف بالعالمية لكنها بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية أو هي النصوص للوصول إلى الأهداف بوسائل الأهداف العلمية [16]

النقد الديني

كان النقاد الذين يهاجمون الاستشراق من الزاوية الدينية، ينسِبون إلى المستشرِقين سوء الفهم المنسوب إلى الغربيين الناجم عن تأثير تاريخٍ طويل من تشويهٍ للعقيدة الإسلامية في الغرب المسيحي، بدأ منذ العصور الوسطى وظلت آثارٌ منه، حتى اليوم، وإن بدرجات متفاوتة. ومثل هذا التفسير يتضمّن تبريرا للخطأ الغربي المعاصر بإرجاعه إلى أصول تاريخية قديما. غير أن الاتجاه الأغلب، بين ناقدي الاستشراق على أساسٍ ديني، هو اتجاه التفسير التآمري؛ أي القول بوجود نِيّة مبيّتة لدى المستشرقين لتشويه تعاليم الإسلام والرأي الشائع هو أن هذا التشويه يتم عند بعض المستشرِقين بصورة صريحة تتضمن هجمات مباشرة وتفسيرات باطلة لحقائق أساسية في الإسلام، وعند البعض الآخر بصورة غير مباشِرة، ربما اقترنت أحيانا بشيء من المدح أو الدعوة إلى التفاهم، ولكن للإسلام الدسّ ـ الهدف الذي يتمُّ التوصُّل إليه بطريقةٍ أذكى في هذه الحالة – يظلُّ هو الأحكام الباطِلة في تمرير وتشويه صورته، مع تقديم بعض الأحكام الإيجابية من أجل إطار يُفترَض أنه موضوعي. والذي كان

يحدُث في هذا الهجوم من المُنطلَق الدِّيني على الاستشراق هو أن المُهاجِم مُحاولا أن يُثبِت له أنه عدو للإسلام كان في واقع الأمر مُدافعًا؛ فهو يدخُل في مُبارزة مع من وقَع في أخطاء أساسية، مقصودة أو غير مقصودة،وساعِيًا إلى أن يُعيد إلى الإسلام صورته.[17]

نظرية المؤامرة

استشراء نظرية المؤامرة في أجزاء بنائنا الثقافي هو من أهم مثبطات التطور، ومتْلِفات الإنجاز .بل هو مرض يهدد كيان ذلك البناء من أساساته في ظل عجزهم المعرفي يتخيلون دائما أن العالم وسكانه الغربيين لا يعيشون إلا ليكيدوهم، ويضروهم، ولينهبوا ثرواتهم، ويشوهوا حضاراتهم، وأن لا شغل للغرب إلا بنا وهذا راجع لاتصال الاستشراق بالجهات السياسية وتعاون بعض المستشرقين معها، أوجد آثاراً عادت بالضرر على مستواه المعرفي، وتوجّهه البحثي.وهذا ما نزع عن الاستشراق عباءته العلمية المعرفية، وكساه جبة عسكرية لكن حماسة النقد لا تجرنا إلى الإفراط والغلو في نقد الاستشراق ؛ لذلك لن نزعم في ظل هاته الوقفة النقدية أن الاستشراق قد خلا من حسنات ومنافع أنعشت الساحة الثقافية للعرب والمسلمين.

خاتمة:

تجد مفردة الاستشراق ظلالا سلبية لدى أغلب المختصين فهي امتداد للتبشير وتمهيد للاستعمار ومحاولة للسيطرة على العقل المسلم وشخصيته ونصرته أوعلمنته وإفقاده ذاتيته واعتزازه بمنجزه وهزيمته النفسية وتمهيد الطريق لاستلامه على كافة المستويات من العقل إلى الأرض بل وحتى الوجدان

وعلى الجانب الآخر، نجد من الباحثين من يتخذ من التراث بوصلة وقبلة وهدفا علميا، لكنه لا يرى طرحا علميا إلا ما يطرحه الرجل الأبيض، ولا يفهم نفسه إلا بعيون الغربي، ولا يرى ذاته إلا في مرآة الغربي، ولا يؤمن بقدرة العقل الإسلامي على التفلسف والإنتاج الفكري والمعرفي إلا من خلال العقل الغربي، فهو موطن الفكر والفلسفة ومآلها، ومبتداها ومنتهاها، وبين التيارين نحاول أن نفهم الاستشراق فهما جديدا مختلفا في ضوء ما قدم من أطروحات في اللغة والدين والأدب والتاريخ والحضارة، وغيرها من مجالات المعرفة الإنسانية"[18]

فقد بدأت الدراسات الاستشراقية تتبنى منهجًا أكثر علمانية وموضوعية، وأكثر عمقا و يسعى إلى فهم القيم والمعتقدات والتقاليد التي تميز هذه الحضارات.كما بدأت دراسات الاستشراقية تركز على التأثير المتبادل بين الحضارات الشرقية والغربية، وكيف يمكن لهذا التفاعل أن يسهم في تعزيز التعايش بين الثقافات المختلفة.بالإضافة إلى ذلك، يُلاحظ أيضا تزايد اهتمام الباحثين بالجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للحضارات الشرقية، وكيف يمكن لهذه العوامل أن تؤثر على التطور والتقدم في هذه الحضارات .

الاقتراحات

الاستشراق قضية شائكة ومعقدة، لهذا نقترح على من يهتم بهذه الظاهرة:

ــ التسلح بالثقافة الواسعة والإلمام بالبيئة الحضارية وامتلاك خلفية تاريخية، والإحاطة بالظروف والدوافع تجاه الشرق، وقراءة الآخر دون تعصب أو عقد أو نظرة مسبّقة.

ــ تحليل منهجيات البحث المستخدمة في الدراسات الاستشراقية وممارسة نقدها بشكل منهجي وعلمي وإثبات المتحيز منها، لأن موضوع الاستشراق تتجاذبه العلمية والنزعة الذاتية.

يجب.

ــ تسليط البحث على ما تم تهميشه أو تجاهله من قبل المستشرقين، والتركيز على التجارب الحقيقية للشعوب الشرقية.

ــ استكشاف إمكانية وجود حوار ثقافي حقيقي بين الشرق والغرب بعيدًا عن الصور النمطية والتصورات المسبقة.

الهوامش:

[1] يفوت سالم، حفريات الاستشراق ـ في نقد العقل الاستشراقي ـ المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1989،1، ص:7

[2] ينظر: محمد محمد محمد إبراهيم كركور، مفهوم الاستشراق وصلته أجنحة المكر الأربعة، حولية كلية الدعوة الإسلامية، جامعه الازهر،2019، مج14، ع 31، ص:49،52

[3] زكريا فؤاد، نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة هنداوي سيآيسي،2017، ص:11

[4] ينظر: محمود حسين رواء، نقد الاستشراق، مناقشة حول الكلام والفلسفة، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ط1، 2012، ص:51،58.

[5] برقية عبد الحميد، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879 ـ1962 دراسة تاريخية فكرية، أطروحة دكتوراه ط3، إش: محمد شرقي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة،2022/2021، ص:39،38.

[6] محمد الجبري عبد المتعال، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995، ص:134.

[7] ينظر: عزوزي حسن، آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية، مطبعة أنفو ـ برانت، فاس، المغرب، ط2007،1، ص:15

[8] محمد الجبري عبد المتعال، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، المرجع السابق، ص:130

9 حشلافي آمحمد، الفن الإسلامي بمنظور المستشرقين، ريتشارد ايتنجهاوزن نموذجا، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، الجزائر، مج7، ع2، 2021، ص: 489.

[10] شاكر، الفن الإسلامي والمسيحية العربية دور المسيحين في تكوين الفن، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص:21

[11] أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، ط3 ، القاهرة، 2003، مكتبة الانجلو مصرية، ص76

[12] ينظر: نابي نسيمة، واقع اللغة العربية وأثر المستشرقين عليها، الممارسات اللّغويّة، جامعة تيزي وزو ، مج7،ع2016،1،ص: 56

[13] محمد الجبري عبد المتعال، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، المرجع السابق، ص:129،128

14 أحمد فارس الشدياق (1804 – 1887)، الساق على الساق في ما هو الفارياق، طبعة الجوائب – قسطنطينية،1882ص:291

[15] أحمد فارس الشدياق، الساق على الساق في ما هو الفارياق، المرجع السابق، ص:215

[16] ينظر: سالم الحاج ساسي، نقض الخطاب الاستشريقي ـ الظاهره الاستشراقيه واثرها في الدراسات الاسلاميه ــ دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان،ط1،2002 ، ص:167،163،162 .

[17] زكريا فؤاد ، نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة هنداويسيآيسي،2017، ص:11

[18] **كيف نفهم الاستشراق؟ قراءة ثانية** https://www.youtube.com/watch?v=0jE6AJu2R0Q&t=999s

المراجع :

1: الكتب العربية:

1. **أحمد فارس الشدياق(1804 – 1887) ، الساق على الساق في ما هو الفارياق، طبعة الجوائب – قسطنطينية، 1882.**
2. أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، ط3 ، القاهرة،2003 ، مكتبة الانجلو مصرية.
3. زكريا فؤاد، نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة هنداويسيآيسي،2017.
4. سالم الحاج ساسي، نقض الخطاب الاستشراقي ـ الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
5. شاكر، الفن الإسلامي والمسيحية العربية دور المسيحين في تكوين الفن، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2001.
6. عزوزي حسن، آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية، مطبعة أنفو ـ برانت، فاس، المغرب، ط1،2007.
7. محمد الجبري عبد المتعال، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995.
8. محمود حسين رواء، نقد الاستشراق، مناقشة حول الكلام والفلسفة، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ط1، 2012.
9. يفوت سالم، حفريات الاستشراق ـ في نقد العقل الاستشراقي ـ المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989.

2: الأطاريح:

10. برقية عبد الحميد، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879 ـ1962 دراسة تاريخية فكرية، أطروحة دكتوراه ط3، إش: محمد شرقي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة،2021 /2022.

3: المجلات

11. حشلافي آمحمد، الفن الإسلامي بمنظور المستشرقين، ريتشارد ايتنجهاوزن نموذجا، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، الجزائر، مج7، ع2، 2021.
12. محمد محمد محمد إبراهيم كركور، مفهوم الاستشراق وصلته أجنحة المكر الأربعة، حولية كلية الدعوة الاسلامية، جامعه الأزهر،2019، مج14، ع 31.
13. نابي نسيمة، واقع اللغة العربية وأثر المستشرقين عليها، الممارسات اللّغويّة، جامعة تيزي وزو ، مج7، ع1، 2016،.